ولكن إذا رأى امـرأة غيرها.. أصـغر منهـا ولا تزال فى قمة نضارتها.. بدأت المقارنة وأحسَّ بالتغيير، وأثَّر ذلك فى نفسه.

ولذلك ونحن نرى أمهاتنا بعد أن كبرن وملأت وجوههن التـجاعـيد.. لا نشـعر بهـذا.. بل نجد فى أمـهاتنا نضـارة لا نشبع من النظر إليها.

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ قد حجب المرأة من أن تستلفت الأنظار إليها بالكشف عن زينتها، وهو قد حجب غيرها ممن هُنَّ أصـغر وأجـمل وأكثـر نضارة مـن أن يستلفـتن أنظار زوجها فيعرض عنها.

والعجـيب أن المرأة لا تلتفت إلـى هذه الحكمة، وهى أن الحجاب حماية لها، ولزوجها ولبيتها، بل تأخذ المسألة على أساس من الحرية الجوفاء.. ناسية أن هذا التقييد إنما شُرِّعَ لحمايتها.

والعـقاب فى الـشرع فى كل الحـالات.. لا يبـدأ إلا عند النزوع إلى عمل شىء.. فأنت ترى وردة جميلة.. انظر إليها كما شـئت فليس فى ذلك إثم ولا حساب، وتمتع برائحـتها كـما شـئت.. فليس هـناك إثم ولا حسـاب، إلا أن تمـد يدك لتقطعها.. حينئذ تكون قد اعتديت.

وأنت ترى فرساً جـميلة.. انظر إليها كمـا شئت.. وتمتع بالنظر إليـهـا كمـا تريد.. فـلا إثم عليك.. إلا أن تحـاول أن تركـبهـا دون إذن صـاحبـها، وهكذا كـل ما فى الدنيـا من جمال.. والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول :